

الإعلام الإلكتروني وقيم الهوية السودانية

أستاذ مشارك – كلية العلوم السياسية
جامعة الزعيم الأزهرى

د. أميرة على أحمد همت

مستخلص :

الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها وإتجاهاتها، وهو المزود للجمهور بالأخبار والمعلومات عن شتى المواضيع ، وفي ظل التقدم التكنولوجي الهائل الذي يشهده العالم والثورة المعلوماتية، أضحت دور الاعلام أكثر فاعلية في إحداث التغيير السلبي أو الإيجابي لدى الجماهير وفقا لما يسلط عليه الضوء. تأتي أهمية هذه الورقة البحثية من أهمية القضية التي تتناولها ، فإعلام الإلكتروني بوسائله المختلفة أضحت هو الاقوى تأثيرا والاكثر انتشارا وفي متناول الجميع وقضية الهوية من الاهمية بمكان لتحقيق الاستقرار والتنمية في أي مجتمع. تمثلت مشكلة الدراسة في عدم استغلال وسائل الاعلام الإلكتروني بالقدر المطلوب لنشر وتثبيت القيم والهوية السودانية وزيادة روح الوطنية ، في ظل التطور المتسارع لهذه الوسائل ،وتقوم الدراسة على فرضية اساسية وهي ان استخدام وسائل الاعلام الإلكتروني بصورة سليمة تمكن وتساعد على تثبيت الهوية السودانية وفق منهج تاريخي في سرد المعلومات التاريخية التي يتطلبها البحث ، ووصفي تحليلي في وصف وتحليل البيانات والمعلومات المتعلقة بموضوع البحث، تتناول الدراسة ذلك في عدد من المحاور تتناول فيها المفاهيم المرتبطة بموضوع الدراسة ، و دور الاعلام الإلكتروني في نشر قيم الهوية السودانية وتخلص الورقة لعدد من النتائج التي تقدم معالجات لفرضية البحث ، وعدد من التوصيات التي يمكن ان تكون ذات أهمية بالغه للباحثين والمهتمين ومتخذي القرار في هذا الشأن.

Electronic media and Sudanese identity values

Dr. Amira Ali Ahmed Hemmat

Abstract:

The media is the objective expression of the mentality, spirit, inclinations and attitudes of the masses, and it is the provider of the public with news and information on various topics. The importance of this research paper comes from the importance of the issue it deals with. Electronic media, with its various means, has become the most influential, most widespread, and accessible to all. The issue of identity is of great importance to achieving stability and development in any society. The problem of the study is the lack of exploitation of the electronic media to the extent required to disseminate and establish Sudanese values and identity and increase the spirit of patriotism, in light of the rapid development of these means. Historical information required by the research, descriptive and analytical in describing and analyzing the data and information related to the research topic, The study deals with this in a number of axes, in which it deals with the concepts related to the subject of the study, and the role of electronic media in spreading the values of Sudanese identity. .

مقدمة:

ظل الاعلام يحظى باهتمام الباحثون والحكومات والناشطين وكل مكونات المجتمع على مر العصور لدوره كوسيلة فاعله في خلق الروابط بين المجتمعات وبين الحكومه والمجتمع في الكيان السياسي الواحد ، وفي ظل التطور التقني والمعرفي الذي شهده العالم اضحى الاهتمام بلاعلام من الاهمية بمكان خاصة في ظل الثورة التكنولوجية التي صحت العولمة منذ بداية تسعينات القرن الماضي .

أضحى الاعلام هو النظام الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والابداع الفني غير المحدود ، دون إعتبار لثقافة وقيم الانظمة الاجتماعية والحضارات والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم ، ويتميز بمجموعه من العلاقات والعوامل والقوى ويتحرك بسهولة على المستوى الكوني متجاوزا الحدود ويصعب السيطرة عليه ، وتسانده إلتزامات دولية ودعم قانوني بأليات متعددة ولها أثر ونتائج تتعداء نطاق الدولة الوطنية للمستوى العالمي ، لتربط العالم في شكل كيان متشابك الاطراف يطلق عليه القرية الكونية. ويسعى لعرض كل الاختلافات في القوميات والحضارات والقيم ويبرز الافضل منها ، أوجد ذلك تحديا أمام الهوية الخاصة بكل أمه، خوفا من تذويب القيم والمثل والعادات والتقاليد والاعراف الخاصة بها في ما تقدمه وسائل الاعلام الجديد، فكان لزاما على المثقفين والمهتمين بالبحث عن كيفية استغلال وسائل اعلام العولمة (الاعلام الجديد، الالكتروني والرقمي) لتقوية شعور مجتمعاتهم بالهوية القومية ، ونشر قيم ومثل مجتمعاتنا في الدول النامية التي تعاني من ضعف وسائل الاعلام الالكتروني

الاطار المفاهيمي للدراسة: الهوية :

تعتبر الهوية علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلماته الفكرية، وهوية أي كيان فردي أو جماعي هي مجموعة الخصائص والصفات التي يعرف بها هذا الكيان نفسه ويتعرف بها على غيره وتظل حاضرة في شعوره، وتمثل المرجعية العليا لسلوكه وعقيدته وتعامله ، فالهوية هي جوهر كل كيان ومفتاحه.

تعريف الهوية لغة :

الهوية في اللغة بضم الهاء وكسر الواو نسبة مصدرية للفظ (هو) وهي استعمال حادث، وهو ضمير منفصل يعود على شخص ما. أما الهوية بفتح الهاء فهي البذر البعيدة المهواة ، والموضع الذي يهوي ويسقط من وقف عليه. لذا من الخطأ نطق كلمة هوية بفتح الهاء .

الهوية اصطلاحاً:

قال الجرجاني* (الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق إشتمال النواة على الشجرة، فالهوية هي حقيقة الشيء وصفاتها التي يتميز بها عن غيره ، وتعني تعريف الانسان نفسه فكراً وثقافة واسلوب حياة⁽¹⁾ إذا الهوية هي المرجعية التي تتشكل منها الشخصية الانسانية. -التراث الثقافي الضارب في التاريخ، المرتبط بالإنسان وفكره وقيمه وتقاليدته. هذه الركائز الثلاثة والتمسك بها هو الذي يضمن الحفاظ على الهوية ويمنع التشويه والطمس فيها.

والهوية هي الإعلاء من شأن الفرد ، والوعي بالذات الثقافية والاجتماعية، وهي عبارة عن سماتٍ تميّز شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها ، وهي الخصوصية والذاتية وهي ثقافة الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه ، وهي جزء لا يتجزأ من منشأ الفرد ومكان ولادته حتى وإن لم يكن أصله من نفس المنشأ⁽²⁾. وهي الوعي الذاتي ذو الأهمية للاستمرارية النفسية والأيدولوجية وفلسفة الحياة التي يعتنقها الفرد وتعينه على الاختبارات التي يجريها كما تحدد إتجاهاته وسلوكه الشخصي، فالهوية هي الذاتية والخصوصية وهي القيم والمثل والمبادئ التي تشكل اساس النخاع للشخصية الفردية أو المجتمع، وهوية الفرد هي عقيدته ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه، وكذلك هوية المجتمع فهي الروح المعنوية والجوهر الأصيل لكيان الأمة . الهوية أيضاً هي الوعي بالذات الاجتماعية والثقافية، وهي ليست ثابتة وإنما تتحول تبعاً لتحول الواقع، بل أكثر من ذلك هناك داخل كل هوية هويات متعددة ذات مستويات مختلفة فهوليس معطى قبلي، بل إن الإنسان هو الذي يخلقها وفق صيرورة التحول⁽³⁾.

مفهوم الاعلام الالكتروني :

الاعلام التقليدي:

لا يمكن تحديد مفهوم محدد للاعلام دون ربطة بطبيعة المجتمع الذي يتم التوجه إليه بجميع مقوماته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وقد عرف الاعلام بأنه «الوسيلة الرئيسية التي تقوم بالاتصال بين البشر من خلال أهداف محدده توضع عن طريق تخطيط ب متقن بغرض التعريف عما يجري داخل الوطن الواحد بواسطة الأخبار والانباء المختلفة. فلالعلام عبارة عن إستقصاء الانباء ومعالجتها ونشرها على الجماهير

بالسرعة التي أتبعها وسائل الاعلام الحديثة ، وبعرف ايضا بأنه علم وفن توظيف المعلومه بهدف إيصالها إلى المتلقي بوسائل يمكن أن تؤثر على مداركه وقناعاته ومن ثم سلوكه وسط حياته. فلامع من القوى الاجتماعية المؤثرة التي تضطلع بوظيفة على درجة عالية من الأهمية في سياق التطور والتحول المطلوب لمختلف المجتمعات ، فعلى مستوى العالم الاول تتجه وظيفة الاعلام الى انضاج التجربة والتنبيه إلى أوجه القصور والضعف والتأكيد على الدور الرقابي ، بينما في الدول النامية تتعاضد ادوار الاعلام في مواجهة الاستبداد الحكومي ودفع المجتمع للتفاعل مع قضايا جديدة تشكل تحديات للمجتمع للتواصل مع الدول المتقدمة والسير في طريق النمو والتطور. وفي السنوات الاخيرة شهد العالم جملة من التحديات المعلوماتية ذات أبعاد مختلفة في كافة وسائل الاعلام إذ مستها الرقمية مع تميز الفرق بالعديد من مظاهر التحول التكنولوجي الذي شمل مختلف الميادين العلمية وفي مقدمتها الاعلام بكل وسائله السمعية والبصرية والاقمار الصناعية .

الاعلام الإلكتروني :

بدأت تظهر ملامح الاعلام الإلكتروني مع الثورة التكنولوجية والمعلوماتية التي سادت العالم منذ نهايات القرن الماضي، وساد الاعلام الإلكتروني بوسائله الحديثة ساحه الثقافة مؤكدا محورية الاعلام في الحياة المعاصرة حتى أطلق عليه ثقافة التكنولوجيا او ثقافة الميديا اي الاعلام⁽⁴⁾. فلامع الإلكتروني عباره عن نوع جديد من الاعلام يشترك مع الاعلام التقليدي من حيث المفهوم والمبادئ العامة والاهداف ، ويتميز عنه في إعماده على وسائل جديدة من وسائل الاعلام الحديثة والدمج بينها وكل وسائل الاتصال التقليدي بهدف إصال المضامين المرصودة بأشكال وصورة مميزة ومؤثرة بطريقة أكبر .

الفرق بين الاعلام الإلكتروني والإعلام التقليدي:

- يمكن تلخيص الفروق بين الاعلام التقليدي والإلكتروني في عدة نقاط:
1. المساحه الجغرافية : إذا اضحت المساحه الجغرافية غير محسوبة في ظل الاعلام الحديث إذ اضحى في مقدور الموقع الاعلامي الوصول الى مختلف انحاء العالم عن طريق الانترنت، دون تقييد بجغرافية المكان كما في الاعلام التقليدي.
 2. عامل التكلفة : يظهر الفرق في هذا العامل بصورة جليه على مستوى الصحافه المكتوبة من حيث توفير جزء من تكاليف الطباعة والتوزيع من ناحيو ويمكن تغطية جزءا من الميزانية من مردودية الاشتراكات ، هذا فضلا عن تحقيق عامل الانتشار بين أكبر عدد من الجماهير بطريقه مضمونه
 3. عنصر التفاعلية : من أهم الفروق بين الحديث والتقليدي عامل التفاعلية التي تتيح إمكانية التحكم بالمعلومات والحصول عليها وإرسالها عبر البريد الإلكتروني.⁽⁵⁾
 4. عامل الغلبة والاستمرار: المنافسة بين الاعلام التقليدي والحديث من المؤكد إنها تحسم الامور لصالح الاعلام الحديث الأكثر تطورا من الناحية التقنية والأكبر حجما على مستوى المضمون ، وهذا لا يبعد الاعلام الوطني ولا يلغيه ، إذ يمكن أن يجد الاعلام الوطني مكانة داخل الوسائل الحديثة إذ كان في مقدوره إدارة وهيكله العمليات من منظور تلبية رغبات المتلقي.

أنواع الاعلام الالكتروني:

ينقسم الاعلام الالكتروني الى نوعين:

الاول: الاعلام المؤسساتية: وهي المواقع المملوكة للشركات والهيئات وتحتوي على عدد من الصفحات بها معلومات عن المؤسسه ونشاطاتها والخدمات التي توفرها وما تعرض من منتجات، وعناوين المؤسسة وطريقة الاتصال بها ويساعد الموقع في التعرف على العملاء والاجابه على استفساراتهم وتلبية طلباتهم، والمواقع اضحت تنافس الوسائل التقليدية في الترويج.

الثاني: الاعلام الشخصي: وهي أن يقوم الشخص الراغب بعمل وتصميم موقع يحتوي على المعلومات الخاصة به ويمكن أن يحتوي على صور وافلام ، ويعرض فيها أفكاره وأراءه في القضايا المختلفة ، وناقش هذه القضايا مع الجماهير بحرية مطلقة لذا يعتبر الموقع الشخصي هو أفضل وسيلة للتواصل بين الشخص والعالم الخارجي ، وتعكس طابع الشخص وميوله وهواياته وأفكاره وتجعل الشخص يصنع الهوية الخاصة به على الانترنت.⁶ وهناك مواقع أخرى غير هذين التصنيفين مثل غوغل وياهو وغيرها من المواقع الجيدة التي تقدم خدمة البريد الالكتروني المجاني للجماهير، هذا بالإضافة للمدونات الالكترونية التي أخذت موقعا مميزا في الاعلام الالكتروني وهي من خلال مواصفات هيكليّة في بنيتها تكون مجال عام مثالي من حيث سهولة التصميم والبرمجه وسهولة التشغيل وقلة التكلفة. هذا إلى جانب المنتديات المختلفة المتخصصة والمفتوحة فضلا عن الاعلام الخدمي ومواقع التواصل الاجتماعي (الفييس -تويتر- وغيرها). الا أن مواقع التواصل هذه لا تخدم الاعلام كثيرا إذ هي مجرد مواقع لتبادل الاحاديث والدرشه أكثر منها مواقع إعلامية، إلا أنها تستغل أحيانا لأغراض من قبل جهات غير حكومية (أفراد اوجماعات). لدعم أفكار معينة .

وسائل الاعلام الالكتروني:

في ظل تطور شبكات الاتصالات والتكنولوجيا الرقمية بدأت عملية تأسيس الاعلام الالكتروني ، كما قامت الهيئات والمؤسسات الحكومية بإنشاء مواقع خاصه وإنتهجت المؤسسات الربحية نفس النهج وحظيت المؤسسات الاهلية بالكثيرمن الاهتمام لدى الزوار خاصة مواقع التجارة الالكترونية ،وفي نفس الوقت نشطت وسائل الاعلام بأشكالها المتعددة من فضائيات وصحف ومؤسسات أبحاث بحجز مواقع لها على الشبكة العنكبوتية للمعلومات(الإنترنت). ويتألف الموقع الالكتروني من صفحه واحده أو عدة صفحات يحتوي مجموعة من المواضيع وملفات الصور والفيديوهات ، ويمكن لاي شخص أخذ المعلومه والوصول في ثواني معدوده الى مصادر المعلومات في كل أنحاء العالم.

- ما يميز وسائل الاعلام الالكتروني إنها تخاطب جميع الفئات العمرية وكل الجنسيات ، كم تخاطب النوع البشري بشقية (الرجل والمرأة)، فضلا على انها تزداد تنوعا ونموا وتداخل مع الوقت ومن هذه الوسائل :
1. المدونات Blogs: هي مواقع تتمتع بتحديثات منتظمة، وعادة ما تجمع بين النصوص والصور، الرسومات أو الفيديو ، وروابط اصفحات ويب أخرى وعادة ما تكون ير رسمية وتعتمد على إدخال مذكرات أو أخبار بصفة يومية.
 2. المزج Mashups: هو موقع يجمع بيانات من أكثر من مصدر واحدة في أداة واحدة وغالبا مايشمل الخرائط ومواقع تجارية .

3. الهاتف المحمول Telephon Mobile : تمكنت اجهزة المحمول من فرض نفسها كشكل من اشكال الاعلام بصورة قوية ضمن وسائل الاعلام الالكتروني لقربة من المستخدم في اي وقت واي زمان ولانه يجمع بين أداء ثلاثة من وسائل الاعلام التقليدية (الإذاعة ، التلفزيون ، الصحف). إضافة الى الميزات الاخرى كخدمات القنوات الفضائية والمرئية .
4. البود كاست او التدوين الصوتي Podcasts : وهي ملفات الفيديو والصوت التي يمكن مشاهدتها والاستماع اليها عبر اجهزة الحواسيب او الهواتف اواي بود.
5. مواقع مشاركة الصور والفيديوهات Photo and Video Shaing site:من ابرز المواقع واكثرها انتشارا اليوتيوب والانستغرام.
6. الويب نار Webinars : وهو نوع اقرب لمؤتمرات الويب.
7. مواقع الشبكات الاجتماعية Social Network Site : وهي مجتمعات الانترنت التي تتيح فرص للتواصل بأكبر عدد من العملاء او الاصدقاء ومنها
-الفييس بوك facebook
-تويتر tweeter.

التنوع العرقي وتكوين الدولة السودانية :

يتميز السودان بتنوع عرقي فريد، حيث يضم أكثر من 500 قبيلة يتحدثون أكثر من مئة لغة ، كما يتميز السودان بتعدد وتنوع ديني كبير إذ يدين غالبية الشعب السوداني بالإسلام ، ونسبة منهم يعتنقون المسيحية إضافة إلى أديان محلية وشعبية (7). أسهم في تنوع السودان العرقي عوامل تاريخية وجغرافية، فقد كان السودان بمساحته الشاسعة عبارة عن ممالك متناثرة تربطها فقط علاقات التبادل التجاري والاقتصادي في حالات السلم ، وتوافدت إلى أراضيه بعد ذلك هجرات متتالية بعضها من الجزيرة العربية خاصة بعد اتفاق البقط ، وكذلك هجرات من الدول الأفريقية المجاورة والتي استمرت حتى يومنا هذا ، فقد مثل موقع السودان وموارده عنصر جذب متواصل لتلك الهجرات (8)

لمحة تاريخية لازمة الهوية في السودان:

البحث عن موضوع الهوية من القضايا التي شغلت المثقفين لانها قضية محورية على الصعيد الامني والتنموي على حد سواء، يشير المثقفون الى وجود هويتين متصارعتين في السودان ، الاولى هوية تتبع القيم الدينية في التشريع السياسي والقضائي لضبط السلوك الاجتماعي بضوابط القرءان الكريم والسنة والإرث الفقهي، وللأمانة هم ليس عرب خلص بل أغلبهم من اصول افريقية، ، والثانية هوية ورثها المجتمع السوداني منذ ما قبل الميلااد تكونت من خلال طبقات تاريخية متعددة وانعكست في التراث السوداني المشترك نسبيا وما تزال عصيا على الترويض السياسي ، ورعاة هذه الهوية ايضا من الصعب ان نقول عليهم بأن اصولهم افريقية بحتة ، وهناك رأي بان الهوية السودانية هوية قومية تمازجت فيها الاعراق والأجناس وامتزجت الدماء الحامية الزنجية بالسامية فكان نتاجها هذا العنصر السوداني الذي يتكون من القبائل النوبية والنيلية والنوباوية الحامية النيلية والزنجية الافريقية والعربية والبربرية ، وانصهرت بينها الديانات السودانية القديمة الافريقية والعربية والمسيحية وحتالديانة الاسلامي فاوجدت عادات وتقاليد وأعراف وقيم نسميها سودانية ويفتخر بها المجتمع السوداني بكل اختلافاته(9)

بذلت الحكومات المتعاقبة منذ الاستقلال جهودا لترسيخ الهوية السودانية الا ان هذ الجهود لم تكن كافية لبورة الهوية بصورة واضحة لتحقيق النسيج الاجتماعي القوى القائم على التآخي في اطار الوطن بين مكونات المجتمع ، وانشغلت الحكومات بقضايا السياسة والحكم بين مدني حزبي ضعيف ومتنازع عليه وحكومة عسكرية، وقد يكون هذا الامر عائد لطبيعة الفترة التي نال فيها السودان الاستقلا والتي عرفت بفترة الحرب الباردة حيث كان الاستقطاب حاد جدا بين المعسكرين حينها ودخل السودان كغيرة من الدول حديثة الاستقلال في فلك هذا الاستقطاب والذي كان للعامل العسكري والايديولوجيه القدرح الاعظم ، فكان الاهتمام بتوحيد المجتمع على هوية واحده ليس من أولويات الحكومات بفضل التنافس بين المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي والغربي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية .فكان تقديم السياسة على الثقافة في الممارسة السودانية لما بعد الاستقلال ، لذا لم يبرز مشروع ثقافي كامل ليكون بمثابة النور الكاشف الذي يهدي مسيرة الاندماج الاجتماعي وينتج أعرافا مشتركة وقيما عليا راسخة ومرعية تقوى النسيج الاجتماعي وتضمن ان يفضي التنوع بحكمة المجتمع وقيمة الى وحدة اجتماعية حقيقة ، وفي المقابل ضعف الشعور بلانتماء القومي وضعفت مؤسساته المتمثلة في الاحزاب السياسية القومية والكيانات والاتحادات الثقافية القومية ، فضلا عن الحروب والصراعات الاهلية الطويلة التي ارهقت السلطات مما جعل الكيانات الاجتماعية تتجه للإحتماء بمكوناتها الأولية واصبحت البلاد تعاني من العصبية القبلية والعرقية والجهوية لتصبح مشكلة الهوية مهدد حقيقي للبلاد وتماسكها ، وهذه التطورات السالبة افرزت ضعفا في التنمية والخدمات (التعليم ، الصحة ، المياه) وتفاوتت حظوظ المناطق فيها، وانعكس ذلك في شكل مشكلات اجتماعية حقيقية للهوية السودانية، وعمق الشعور بعدم المساواة في الحقوق والتميز السلبي وعمق أزمة الهوية

عوامل صراع الهويات في السودان :

أدت عوامل كثيرة لتراجع التلاحم القومي وتدهور النسيج الاجتماعي في السودان منذ فترة الثمانينات من القرن الماضي أبرزها :

1. الخطأ الناجم عن طريقة تكوين الأحزاب السياسية في السودان حيث أنها استندت على طوائف دينية وأيديولوجيات مستوردة في الغالب ، فكان مصلحة الطائفة والأيديولوجيا فوق مصلحة الوطن وشعبه، الأمر الذي ساهم في تراجع الوحدة الوطنية والتلاحم القومي. فقد افتقر السودان لأحزاب برامجية مرتبطة بمصالح الناس الحياتية وقضايا التنمية والتطور، فأصبح هم بعض الأحزاب تطبيق الايديولوجيات التي شكلت فكرة الحزب ومرجعيته بدون برامج او دراسة لواقع المجتمع زمانا ومكانا .. وهكذا .
2. الانقلابات العسكرية المتكررة والتي أخرجت عملية التنمية السياسية والوعي القومي، وشغلت المواطن بالحروب والنزاعات الداخلية، وعملت على الاستقطاب الحاد للإثنيات والمكونات الاجتماعية للشعب السوداني بهدف كسب الولاء ، وقد كان لذلك أثره البالغ في تراجع الشعور القومي لدى الشعب السوداني والانكفاء أكثر نحو العرق والقبيلة⁽¹⁰⁾ .
3. استغلال بعض المجموعات السياسية العرق والدين لتحقيق مصالح شخصية بالشكل الذي أقحم الهوية في السياسة .

4. الاستقطاب الحاد يميناً ويساراً ، عربوةً وإفريقيانية بالشكل الذي أدى لنشوب واستعار الحروب الأهلية (11) . .
5. نشوب الحرب في دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق بعد تسوية ملف جنوب السودان وانفصاله، وقد أدت هذه الحروب الجديدة إلى قتل وتشريد ملايين النازحين إلى معسكرات حول المدن الرئيسية ولجوء عدد مماثل إلى دول الجوار(12) .

دور الهوية في البناء القومي :

تلعب الهوية دوراً جوهرياً في البناء القومي للدول والأمم والشعوب ، فالهوية هي الوعاء الفكري والعاطفي الجامع الذي يوحد الأمة ويوحد تطلعاته ، ويقوي شوكته في مواجهة الأعداء ، فكل ما كانت الأمة مجتمعة حول هوية واحدة فكرية كانت أم دينية أم ثقافية أو إثنية كلما ازداد التلاحم بين مكوناتها وقل الشقاق والتصدع وأصبحت أكثر صلابة في مواجهة التحديات حسب رؤية الكثيرين، وكلما تعددت هويات الأمة كلما كانت أكثر تصدعاً كما هو الحال في الكثير من دول العالم الثالث .

يرى كثير من الباحثون والمحللون بأن التنوع مهم لبناء مجتمع قوي متماسك ، وأن التنوع هو سنة الله في خلقه من أجل التعارف والتوادد لا التنافر والتدابير والاقتتال ، مصداقاً لقوله تعالى : { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير(13) } ويرى هؤلاء أن التنوع يؤدي إلى المدافعة والمنافسة التي هي أساسى لبناء المجتمع وتطوره لقوله تعالى : { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين(14) }، ولعل هذا هو السبب الذي دفع بعض الدول الغربية إلى تجنيس مواطني الدول الأخرى دون شروط تذكر، مثل ما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية عبر ما يعرف باللوتري حيث يتم منح عشرات الآلاف الجنسية الأمريكية سنوياً (15) ، كما أعلن السويد في مطلع عام 2015م بأنها بحاجة لـ64 ألف مهاجر سنوياً (16) .

يحتج هؤلاء بأن الدول التي تفتقر إلى التنوع توهن وتضعف ، إذ لا يعتبر التنوع في حد ذاته عنصر شقاق إلا إذا تداخل مع عوامل أخرى مثل الظلم والمحسوبية . ويرون بأن أكبر دليل على ذلك أن دولة مثل الصومال انهارت رغم أن الشعب الصومالي كله ينتمي لعرق واحد ويدين بدين واحد هو الإسلام ، فرغم انعدام التنوع في الصومال انهارت الدولة وأصبحت الدولة الفاشلة الأولى في العالم (17)

العلاقة بين الهوية الثقافية والاتصال:

لا تخلو كل العمليات الثقافية من تفاعلات إتصالية ، كم تحوي كل عمليات الاتصال على عمليات ثقافية ، وبذلك تؤثر على تشكيل معظم المضامين التي تحملها عملية الاتصال ، التي بدورها تعمل على نشر المعرفة ودفع عجلة الأنشطة الثقافية وتعتبر رموز الاتصال نفسها جزء من الثقافة السائدة ، فاللغة، والحركات والإيماءات والاشارات هي من عناصر الثقافة، وفي الوقت نفسه هي أدوات لنقل الثقافة في المجتمع ، والتي تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق الاعلام . ولكن رغم الارتباط الكبير بين الهوية الثقافية والاعلام إلا أن تقع المشاكل عندما نقدم الاعلام على الهوية ، فعندها سيكون التركيز على إنجازات الاعلام ودوره الرئادي في التشكيلات الثقافية، والنظرة النموذجية للإعلام بأنه قوى فاعلة في تجميع وتحليل الاحساس بالمكان وفي بناء التجمعات الثقافية ، وهذا جزء من الناتج من جراء تحديد الهوية عوضاً عن تحديد

مفهوم الممارسات الإتصالية المختلفة المتعلقة بتشكيل الهوية. (11).¹⁸ مما يعني أن تكنولوجيا الاعلام هي القوى الحيوية المحددة وهي ظواهر تابعة . فوسائل الاعلام من خلال عروض منتقاة ومن خلال التركيز على موضوعات معينة تستطيع أن تحقق إنطباع لدى الجماهير بأن المعايير الثقافية والقواعد العامه التي يجب فهمها وإتباعها بواسطة جميع افراد المجتمع يتم تحديدها بطريقة معينة وهذه المعايير تغطي مدى واسع من النشاطات ووفقا لهذه النظرية فإن وسائل الاعلام لا تؤثر في الاشخاص فقط إنما تؤثر في الثقافة أيضا بتعزيز المعايير الثقافية ، إلا أن المعاييرالثقافية أيضا تؤثر على وسائل الاعلام ، ولا يقف دورها في مجال السلوك الأخباري بل تتعداه الى كيفية إدراك الجماهير الذي يعود ويتوقف على إختلاف الثقافات المتعدده داخل المجتمع الواحد.

الهوية السودانية والاعلام الالكتروني :

تلعب وسائل الاعلام دور واضح في تشكيل وحفظ الهوية الثقافية بكفاءه عالية بل وإعادة تشكيل الهوية أحيانا. فتكنولوجيا المعلومات والاتصال توصل المسافات من خلال تحريك السكان وتكاملهم ضمن مجموعات ثقافية متناسقهو يتم تشكيل الهويات وتحديدها والحفاظ عليها ، كما أن وسائل الاعلام عملت على تغير جذري بالوعي الاجتماعي وازالت عنصر المكان الذي كان في الماضي اساس للتجمع، إذ كان لا بد من أرض يتجمعون عليها ، واصبح التفاعل يتم عن طريق وسائط المعلومات والاعلام ، لهذا إن للاعلام الالكتروني الاثر الفعال على هويات الجماعه بإلغاء المكان والمسافات.

ليس من السهل عرض التجربة السودان في مجال الاعلام الالكتروني نسبة لتزايد عدد وسائل الاعلام الالكترونية ، وإن كان هذا مبشر بأهتمام العالم بهذا النوع المهم من الاعلام ، أما وكالات الانباء فمعظمها تابعه لانظمة وحكومات وتعتبر المصدر الرئيسي للأخبار الوطنية ، وقد يعود ذلك الى أن معظم وكالات الانباء مموله من قبل حكومات ، ورغم ذلك معظم هذه الوكالات تعاني من صعوبات تقنية كالبطء في إظهار المعلومات والترجمه ، وزادت هيمنة الحكومات في السودان على وسائل الاتصال الرسمية (وإن كانت معظمها تقليدية) في السنوات الاخيرة بصورة واضحة الامر الذي أفقدها المصدقية لدى لمتلقي وجعل الاهتمام يتزايد بلاعلام الالكتروني المفتوح ، بكل تعقيداته ومشاكله في نقل المعلومه الصحيحة ونشر الشائعات احيانا ، وبالتالي اضحى الاعلام غير الموجه هو المسيطر على الساحة في تكوين لرأي العام في القضايا المختلفة.

كل هذا يعني إنه من الضروري الاهتمام وتوظيف الاعلام الالكتروني وإستغلال الوسائل الحديثة وإفرازاتها، خاصة وإنها اوضحت في كل منزل وفي تناول كل أسرة فضلا عن كونها تعتمد على المحاكاه والتقليد في الانتشار بأدوات حديثة وتقنية متقدمه ، وهذا ما لا يمكن منعه والتصدي له لان رفض هذه الادوات يعني رفض التقدم التقني والتطور التكنولوجي ، ومن ناحية أخرى كل إفرازات الاعلام الجديد غير سلبية بل هناك أشياء نحن في أمس الحاجة لها ، وهذا يتطلب من الدوله والمنظمات الوطنية والاكاديميين الوقوف لدراسة الاعلام الالكتروني ووسائله بكل قيمها وإفرازاتها والعمل بإجتهااد لوضع خارطة طريق للمجتمع السوداني للإستفادة من قيمها الجيدة والابتعاد عن كل ما هو غير لائق أخلاقيا ودينيا وما لا يتماشى مع الموروثات السودانية الجميله .

هذا الحديث يقود الى ما نادى به بعض الباحثين بضرورة تجديد الخطاب الاعلامي السوداني، ومؤكته مع التطور التقني الوافد الينا بمعنى أن لكل مقام مقال فليس من المطلوب رفض الاشياء بإعتبار إنها اتية من الغرب بل على العكس يجب أخذ كل ما من شأنه تصحيح المسار ، لانه من المؤكد وجوده امر حتمي لا يمكن انكاره ، فلا يرفض امر بمجرد أن الدعوه اليه جاءت من الاخر، فالخطا في الكثير من الامور بسبب طريقة عرضها وليس لخطا في الشئ نفسه ، ومن هذا المنطق يجب تجديد اسلوبنا في التعامل مع الاعلام الحديث والبحث عن كيفية إستغلاله لعرض قيم وهوية السودان. إذ تعتبر الثورة المعلوماتية والرقمية التي شملت كل العالم منذ تسعينات القرن الماضي هي من مظاهر العولمة ، التي يجب التعامل معها بكل ما بها، وتجديد الخطاب الاعلامي يقصد به)¹⁹:-

أولا : تاسيسه على قيم المواطنة والهوية السودانية.

ثانيا : وضعه على ما كان عليه من التمسك بالاصول والالتزام بالضوابط والمنهجية السودانية المتفق عليها .
ثالثا : تحديد الافكار والمفاهيم وطريقة البرهنة والاستدلال ، وبلورة التداعيات المنطقية .

رابعا : الخطاب العملي الذي يعبر عن الواقع وينزل المعاني منزلتها الصحيحه .

سادسا : القرب من حاجات الناس وعرضها بطريقه تحفظ لهم حقهم في معالجتها.

سابعا : التعامل مع الاعلام الحديث والالكتروني ووسائله في تناول كافة القضايا وبهذا تضمن الانتشار وتضمن وصول ما تريد نشره لأكبر عدد من الجماهير .

ثامنا : العمل على متابعه كل الوسائل الالكترونية الحديثة لمعرفة ما يتم بثه وهو ما يصل للمجتمعات السودانية بدون شك، والعمل على نشر القيم الهوية السودانية بنفس الاسلوب الجاذب وهذا من شأنه أن يغير من قناعات ي الجماهير خاصة قطاع الشباب مما تبثه قنوات الغير وتقلل من إنبهارهم وإنجذابهم لها.

تاسعا : عدم تخويف الجماهير من الاعلام الحديث وتصويره وكأنه شئ ضد القيم والمبادئ بل على العكس يجب تشجيع الاعلام الحديث والعمل به ونشر قيمنا عن طريقه.

عاشرًا : الاعتراف بأن الغير أيضا لديهم قيم جميلة لا يمكن إنكارها لمجرد إنهم ليس نحن

حادية عشرًا : أهمية طرح أمجاد السودانيين بالطرق الموضوعية و الحديثة بكل ما تقدم ألى جانب الوعي الذاتي القائم على:-

أ . المعرفة المتعمقة بالقيم والعادات والتقاليد السودانية

ب . الفهم الدقيق لمكونات الاعلام الحديث وكيفية توظيفها

ج . الاهتمام بالقضايا المشتركة مع الآخرين مثل الأمية والبطالة وتركيز الضوء عليها

د . النقد الذاتي وهذا يتطلب وعي عميق

هـ . الخطاب الموضوعي الواضح الممهور بالمعالجات ، بمعنى لا تقدم نقد لقضية او خطأ بدون أن

تكون قد تمكنت من الإحاطه بمقاصده لتساعد في حل المعضلة.

كما يجب ان لا يكون بعيدا من الأدهان أن ما تقوم به الدول التي تتحكم في رؤوس الاموال من

خلال توظيف الاعلام ووسائل الاتصال الحديثة في عملية الاختراقات الثقافية وإستعمار العقول وما يعنيه

ذلك من إستيلا ب خصوصية الدول الثقافية ، هذا الاستيلا ب المخطط الذي يظهر جليا في عالم اليوم مع المحاولات الغربية في التأثير على الحضارات والثقافات لما لها من تأثير وقوة لدي منتسبها . ومع عدم إستغلال الاعلام الحديث للتصدي لهذه الهجمات المخططة تسود في عالمنا الشرقي حاله من الاغتراب الثقافي والضعف الذاتي إمام التدفق الاعلامي الغربي.

كيفية المحافظة على الهوية السودانية:

- هناك خطوات يجب انتهاجها لتوظيف وسائل الاعلام لتقوية الشعور بالهوية السودانية وهي:-
- توظيف وسائل الاعلام المختلفة لتعزيز الهوية السودانية .
- إقامة المنظمات والمؤسسات المعنية بالمحافظة على الهوية والدفاع عنها . خاصة وأن المنظمات اوضحت من ادوات الثقافات التي تعمل لطمس وتشويش الهوية
- ابراز شهادات الغرب والشرق المنصفة والمحايدة التي تدلل على عظمة الحضارة السودانية (النوبية) بإقامة منصات تتحدث عن عظمة تلك الحضارة
- استغلال وسائل الاعلام الالكتروني في مجادلة ومناقشة المتشككين بهويتنا والرد عليهم ، و ابراز مصادر الخلل في التلقى والاستدلال عندهم وعلى راسهم ابناء السودان نفسه الذين يهاجمون هويتنا وقيمنا دون وعي وفهم ومعرفة، لانهم اكثر الناس انتشارا في وسائل الاعلام .
- كما يجب أن يعمل الخطاب الاعلامي على توحيد السودانيين ، والمقصود هنا ضرورة توحيد الطرح المتفق عليه، ومراعاة التبسيط وعدم التعقيد لزيادة الفهم والانتشار ، وعدم المغالاه التي كانت سبب للكثير من المشاكل التي ظلت تلاحق البلاد، فالبعد عن المغالاه والوسيطية من الاشياء التي تمكنا من الاستفادة من وسائل الاعلام الحديثة في تدعيم وتثبيت الهوية السودانية في مقابل الهوية والقيم التي تحاول المساس بها .
- التطور السريع لوسائل الاعلام والاتصال الجماهيري وإتساع التدفق الحر للمعلومات متجاوزة الحدود الجغرافية غالبا ما تصحبها معلومات مغلوطة قد تنعكس سلبا على وسائل الاعلام ، فيجب الحفاظ على التدقيق مع العمل المتواصل في ظل الوسائل الحديثة للمعلومات، ذلك لأن التطور النوعي الذي شهدته صناعة الاعلام في السنوات الاخيرة في عهد العولمة خلق منها قوة حية يمكن توظيفها لخدمة المشروعات المجتمعية وتثبيت قيم الهوية السودانية مع إنها تعتبر سلاح ذو حدين إذا لم يتم التعامل معها بالكثير من الانتباه والحذر.

أهم النتائج:

- الاعلام والاعلام الالكتروني الحديث من أهم الادوات التي يجب الأخذ بها في المحافظة على القيم والهوية السودانية.
- الهوية والحضارة السودانية (النوبية) هي الاصل الذي أخذت منه الحضارة الغربية ، وإن ساعد التقدم التكنولوجي والتقني الحضارة الغربية على الانتشار والبقاء.
- العولمة وإفرازاتها من الصعب رفضها في ظل الاعلام الحديث .
- تحاك بالسودان الكثير من المؤامرات والفتن لتتوغل ثقافته خوفا من توحيد السودان تحت هوية واحد الامر الذي سينعكس على الاستقرار وبالتالي استغلال موارده التي هي مطمع لاغلب الدول .

التوصيات:

- توظيف الاعلام الالكتروني بكل وسائله لرفع الوعى العام بالقيم والهوية السودانية
- ضرورة ان يكون هناك مناهج من التربية والتعليم تتحدث عن الهوية وتبث عبر وسائل الاعلام الالكتروني خاصة الوسائط الاجتماعية الاكثر انتشارا ومتابعتا
- ضرورة التعامل مع الاعلام الالكتروني ووسائله بدرجة عالية من الوعي والإدراك.
- استغلال الاعلام الإلكتروني الحديث لنشر قيم الهوية السودانية ، وتكييف وسائله لأخذ الصالح من القيم المطروحة ورفض الطالح .
- عدم تجاهل أي من الوسائط الاعلامية مهما كان دوره، واستغلاله لجعل التنوع الموجود ايجابي وعنصر قوة للدولة.
- عمل مواقع جديدة وتفعيل الموجودة حاليا لمقابلة ما تطرحه العولمة من قيم .
- إقامة منصات تدعم القيم والعادات والاعراف والتقاليد السودانية السمحة.
- الاهتمام بكل الوسائط الاجتماعية وعدم تقليل شأنها لانها الأكثر انتشارا والاسرع تأثيرا(الواتساب، التلغرام، الاسناب شات، الكلب هاوس وغيرها)
- الاهتمام بما ينشر ممنعلومات و شائعات من شأنها ان تؤثر في نقل قيم الهوية السودانية والتصدي لها عبر القنوات نفسها بكل شجاعه وحسم

الهوامش:

- (1) الجرجاني هو ابوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (400-471هـ 1009-1078م). ص 50.
- (2) نديم البيطار ، حدود الهوية القومية ، نقد عام ، (بيروت : دار الوحدة العربية ، 1982م) ، ص 19 .
- (3) مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، ط3 ، (القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، 1979م) ، ص 461 .
- (4) محمد احمد خضر، مطالعات في الاعلام ، مكة المكرمة (السعودية: مكتبة الطالب الجامعي)، 1987م، ص16.
- (5) علا الدين هلال، كيف يتعامل العرب مع ثورة المعلومات ، موقع صحيفة البيان الامارتية 1998م الرابط www.albayan.co.ae ، 2015/6/15م الساعة 3 ظ
- (6) مؤسسة الإبداع الرقمي تصميم الاعلام الشخصية والمدونات 2011م نقلا عن الرابط <http://dc.net> . 2015/6/17.sa/page/personaweb-ar م الساعة 11 م
- (7) د / محجوب الباشا ، التنوع العرقي والسياسة الخارجية في السودان ، (الخرطوم : دار هایل للطباعة والنشر والتغليف 1998م) ، ص 34 .
- (8) المرجع السابق ، ص 35 .
- (9) زهري التيجاني ، مجلة الرائد، (الخرطوم العدد الثالث)، ص35
- (10) اد / محجوب الباشا ، مصدر سابق، ص 152 .
- (11) عطا الحسن البطحاني ، أزمة الحكم في السودان : أزمة هيمنة أم هيمنة أزمة ، (الخرطوم : مطبعة جامعة الخرطوم ، 2011م) ، ص 157 .
- (12) آدمالزين ، التغيير في المجتمع وأثره على الصراع القبلي في السودان: بإشارة خاصة إلى إقليم دارفور في : ادم الزينو الطيب وادي ، رؤى حول النزاعات القبلية في السودان (معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم، 1998م).
- (13) سورة الحجرات ، الآية 13 .
- (14) سورة البقرة ، الآية 251 .
- (15) صمويل ب. هنتجتون ، من نحن : التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية ، ترجمة حسام الدين خضور ، (دمشق : دار الحصاد ، 2005م) ، ص 55 .
- (16) <http://www.alma3rifaplus.com>
- (17) د/ آدم محمد أحمد عبد الله ، القرصنة في الصومال وتداعياتها ، ورقة مقدم لمؤتمر القرصنة المنعقد بمراكش بالمغرب ، 2012/3/5م .

(18) هارفي ، الثقافات المحلية ، 1993 م .

(19)- د. محمد البشير محمد عبدالهادي، ضرورة تجديد الخطاب الدعوي الاسلامي،(الخرطوم : شركة مطابع السودان للعمله)، 2006م.